الظلم إنْ دام دمَّر

الاثنين 2 يونيو 2014 12:06 م

: صادق أمين

شتان ما بين مَنْ خنع للانقلاب و بين مَنْ أبى و ثار؛ مِمَّنْ التزموا حـديث رسول الله صـلى الله عليه و سـلم: (أفضل الجهاد: كلمة عدل عند سلطان جائر).
فهؤلاء هم الذين سـتبقى راية الكفاح خفاقة بجهودهم، مهما تفاحشت العوائق و الصعاب أمامهم؛ لتتحقق سعادة المجتمع لا نزوات و أحلام المستبد.
(و لأجل ذلك حَمَلَ الدكتور" أسـعد السحمراني " ـ في مقدمته لكتاب طبائع الاستبداد للكواكبي ـ حملةً شعواء على مَنْ ارتضى لنفسه الذل و قَبِلَ الظلم دون أن يثور عليه؛ و بشره بأن عقابه لا يقل عمن مارس الطغيان؛ إذ الطاغية كالقابل للطغيان، و الظالم كمن ارتضى الظلم؛ فالنار هي للاثنين معاً، وهـذا الحكم نراه في قول الله تعالي: (فأما مَنْ طغى و آثر الحياة الدنيا؛ فإن الجحيم هي المأوى) النازعات 37-39، و كذلك قوله: (و لا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) هود 113
هذا في الآخرة، أما في الدنيا، فكما يقول المثل الشعبي: " الظلم إنْ دام دمَّر، و العدل إنْ دام عمَّر ".
لأـن اتبـاع قـانون الحكم بالعـدل المـأمور به شـرعا، و التزام المؤمن لخـط الحركـة الجهاديـة ضـد كـل منكر؛ هما سـفينة النجاة للإنسان و لمجتمعه، و معاكسـة ذلك مـدعاة لسـيادة الظلم، الـذي يكون الإنسان مصـدره في مثل هـذه الحالة، و هذا ما نلمسه في مدلول حكم الآية الكريمة التي جاء فيها: " إن الله لا يظلم الناس شيئا و لكن الناس أنفسهم يظلمون") يونس44 **"بتصرف"**
و حينئـذ لا يجوز أن نلوم القدر لأذى أصابنا؛ لأننا نحن سـببه الأول و الأخير؛ (لأن الاسـتبداد ـ و الكلام لعبد الرحمن الكواكبي رحمه الله ـ هو بيت الـداء، و لن يكون شـفاء من هـذا الـداء إلاـ باسـتبداله بالشورى و العدالـة؛ التي يغـدو الإنسان في ظلها مطمئنا على ذاته و على ذويه، متمتعا بحقوقه من غير نقصان، آمنا على عائلته و وطنه ... أما الاسـتبداد فإنه يجعل الإنسان فاقدا حب وطنه؛ لأنه غير آمن على الاستقرار، و يود لو انتقل منه، و ضـعيف الحب لعائلته؛ لأنه ليس مطمئنا على دوام علاقته معها ... و أسير الاستبداد لا يملك شيئا ليحرص على حفظه؛ لأنه لا يملك مالاً غير معرض للسلب، و لا شرفا غير معرض للإهانة).
أضف إلى ذلك ما قاله الدكتور "أسـعد السـحمراني": (إن الاسـتبداد داء؛ تُبتلي به بعض الشـعوب في بعض مراحل التاريخ، وهو أسوأ أنواع السـياسة و أكثرهـا فتكـا بالإنسـان و بغير الإنسان، في المجتمع المحكوم بالظلم و الطغيان؛ مما يؤدي إلى التراجع في كافـة مرافق الحياة ووجوهها، و تعطيل الطاقات وهدرها، و سيادة النفاق والرياء بين مختلف فئات الشعب، حكاما و محكومين).
وسـيظل الشـعب ـ لاـ قـدر الله ـ يتقلب في رماد الاسـتبداد و ظلمه و دمويته؛ إذ بيـده هو جره على نفسه؛ بتفريطه و توانيه، وسـيظل في ورطته تلك حتى ينتفض عن بكرة أبيه؛ لأجل الإفلات من قبضة الظلم وعواقبه الوخيمة؛ إذ الاسـتبداد ـ والكلام لعبد الرحمن الكواكبي رحمه الله ـ (عـدو الحق و نقيض الحريـة، و لاـ يمكن مقـاومته إلا بالإعـداد والتحضـير لمواجهـة الظالم المسـتبد و كفِّ يـده عن تماديه وغيه؛ لأن المستبد يتمنى لو أن الجميع استسلموا لنهجه وغيبوا دورهم الفاعل في مقارعته لانتزاع حقوقهم؛ لأنه في هذه الحالة، يتمادى في امتصاص دمائهم و نهب أرزاقهم و تخلو الساحة لتفننه في ذلك؛ و هنا يصح القول : " العافية المفقودة هي الحرية السياسية ... و مهرها كثرة الطلاب).